A two-quarter journal of research in teaching Arabic language and literature

Volume 6, Number 2, 1403

A study of the phenomenon of nostalgia in the poems of the blind man Summary

nasrin abbasi[1], Mahdie Zamani[2]

[1]Doctorate specializing in Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Poali Sina University, Hamedan, Iran (responsible author).nasrinabasi10@yahoo.com

[2]Karshnas Arshad Zaban and Arabic Literature, Dabir Qur'an and First Middle Arabic, Gol Tappeh District, Astan Hamadan, Iran.mah.zamani1400@gmail.com

Abstract

A person longs for his past, and if this nostalgia indicates anything, it indicates a tendency towards personal experiences and also indicates dissatisfaction with the present reality... A person always seeks to escape from an unwanted situation to what pleases him, and this is either with resorting to the past or... Either with a dream of the future. Regret about the past and the lost nostalgia that occupies the mind are the main components of the phenomenon of nostalgia. Writers and artists have expressed this regret and nostalgia in their works and depicted them artistically. This topic appears as subconscious behavior in the poems of The Blind Man. Al-Tadili set the most wonderful examples of love for the homeland and attachment to it. He depicted the state of alienation, weakness, and the playgrounds of youth, and mentioned its days and eras. Remembering myths, collective memory, and complaining about social and self-alienation are also among the main components of nostalgia for this blind man, and the main reasons that provoke this phenomenon for the poet are summed up in his painful and sad state of separation from his beloved, where he was struck by chest tightness and found himself behind closed doors, so he took He sings poetry with sad emotion and painful nostalgia. The Andalusian poet's emotions and nostalgic poetry were intertwined in this period, and he proved the sincerity of his feelings and feelings through his love and longing for his family and his country.

Keywords: Andalus, Arabic poetry, nostalgia .indicates descriptive ,and analytical approach

Date Received: 2024/07/01 ; Revision date: 2024/12/08 ; Date of admission: 2024/12/17 ; Online publication date: 2025/02/19

Citation of this article: abbasi, nasrin; Zamani, Mahdie (2025). A study of the phenomenon of nostalgia in the poems of the blind man Summary. Research in Arabic language and literature education, 6(2), pp. 197-212.

Publisher: Farhangian University © the authors https://amozesharabi.cfu.ac.ir Article type: Research Article

مجلة بحثية نصف سنوية لتعليم اللغة العربية و آدابها

الدورة ٦، العدد٢، ١٤٠٣

دراسة ظاهرة النوستاليجيا في قصائد الأعمى التطيلي

نسرين عباسی[١]، مهديه زمانی[٢]

[١]دكتوراه متخصصة في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة بوعلي سينا، همدان، إيران (المؤلف المسؤول). nasrinabasi10@yahoo.com

[٢]كارشناس ارشد زبان و ادبيات عربی، دبير قرآن و عربی متوسطه اول، منطقه گلتپه، استان همدان، ايران. mah.zamani1400@gmail.com

الملخص

الإنسان يحن إلى ماضيه و هذا الحنين إن دلّ على شيءٍ، فإنه يدلّ على الميل إلى التجارب الشخصية كما يدلّ على عدم الرضى من الواقع الحاضر... يسعى الإنسان دائماً إلى الهروب من حالة غير مطلوبة إلى ما يرضيه و هو إما مع اللُّجوء إلى الماضي و إما مع حلم المستقبل. نتوخّى في هذا البحث وقفاً لِلمنهج الوصفي - التحليلي في ضوء التحليل النفسي أن ندرس شعر اعمي التطيلي من منظور دراسة النوستاليجيا. يظهر هذا الموضوع كسلوك اللاوعي في قصائد الأعمى التطيلي-الشاعر الأندلسي-. لقد ضرب التطيلي أروع الأمثلة في حب الوطن و التعلق به و صوّر حالة الاستلاب و الضعف و ملاعب الصبا و ذكر أيامه و عهوده. يُعدّ تذكير الأساطير و الذاكرة الجماعية و الشكوى من الاغتراب الاجتماعي و الذاتي أيضاً من مكوّنات النوستاليجيا الرئيسية عند الأعمى التطيلي هذا وان الاسباب الرئيسة المثيرة لهذه الظاهرة عند الشاعر تتلخص فى حاله المولمة المحزنة لفراق الحبيبة حيث اصيب بضيق الصدر ووجد نفسه وراء ابواب موصدة مغلقة فاخذ ينشد الشعر بالعاطفة الحزينة و الحنين الموجع. تداخلت عاطفة الشاعر الأندلسي شعره الحنين في هذه الفترة و أثبت صدق مشاعره و أحاسيسه من خلال حبه وحنينه لأهله ووطنه.

الكلمات المفتاحية: الأعمى التطيلي ،الأندلس،الشعر العربی، النوستاليجيا.

تاريخ الإستلام: ٢٤/ ١٢/ ١٤٤٥ تاريخ المراجعة: ٠٦/٠٦/ ١٤٤٦ تاريخ القبول: ٢٧ / ٠٩/ ١٤٤٦ تاريخ النشرعلى الإنترنت: ٢٠/ ٠٨/ ١٤٤٦

نقلاً عن هذا المقال: عباسی، نسرين؛ زمانی، مهديه(١٤٤٦). دراسة ظاهرة النوستاليجيا في قصائد الأعمى التطيلي. البحث في تعليم اللغة والأدب العربي، ٦(٢)، ص ١٩٧-٢١٢.

الناشر: جامعة فرهنجيان http:// https://amozesharabi.cfu.ac.ir © المؤلفون نوع المقال: مقال بحثي

دوفصلنامه پژوهش در آموزش زبان و ادبیات عرب
دوره٦، شماره٢، ١٤٠٣

بررسی پدیده نوستالژی در اشعار الأعمی التطیلي

نسرین عباسی[١]، **مهدیه زمانی**[٢]
[١] دکترای تخصصی زبان و ادبیات عربی، دانشکده هنر، دانشگاه پولی سینا، همدان، ایران (نویسنده مسئول). nasrinabasi10@yahoo.com
[٢]کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی، دبیر قرآن و عربی اول میانه، ناحیه گل تپه، آستان همدان، ایران. mah.zamani1400@gmail.com

چکیده

برای فردی که مشتاق گذشته خود است و اگر این اشتیاق نشان دهنده چیزی باشد، نشان دهنده گرایش به تجربیات شخصی و همچنین نارضایتی از واقعیت کنونی است... فرد همواره در پی فرار از موقعیتی ناخواسته به سوی آنچه مورد رضایت اوست، چه با توسل به گذشته و چه با رؤیای آینده است. پشیمانی از گذشته و نوستالژی از دست رفته ای که ذهن را به خود مشغول می کند، از مولفه های اصلی پدیده نوستالژی است. نویسندگان و هنرمندان این حسرت و دلتنگی را در آثارشان بیان میکردند و هنرمندانه به تصویر میکشیدند. این مضمون به صورت یک رفتار ناخودآگاه در اشعار مرد نابینا ظاهر می شود. التعدیلی شگفت انگیزترین نمونه های عشق به وطن و دلبستگی به آن را بیان کرد او حالت غربت و ضعف، زمین های بازی جوانان را به تصویر کشید و به روزها و دوران های آن اشاره کرد. ذکر اسطوره ها، حافظه جمعی و گلایه از اجتماعی و از خودبیگانگی نیز از مولفه های اصلی نوستالژی برای انسان نابینا است دلایل اصلی این پدیده در شاعر در وضعیت غم انگیز جهانی جدایی از معشوق خلاصه می شود که در آن به تنگی سینه دچار شد و خود را پشت درهای بسته با عاطفه غم انگیز و نوستالژی دردناک به شعر گفتن پرداخت. عاطفه شاعر اندلسی در این دوره با شعر نوستالژیک او عجین شد و او صمیمیت احساس و عاطفه خود را از طریق عشق و نوستالژی به خانواده و وطن به اثبات رساند.این مقاله بر مبنای رویکرد توصیفی و تحلیلی در پرتو روانکاوی مورد پژوهش قرار گرفت.

کلیدواژه‌ها: الأعمی التطیلي ، اندلس، شعر عربی، نوستالژی.

تاریخ دریافت: ١٤٠٣/٠٤/١١؛ تاریخ بازنگری: ١٤٠٣/٠٩/١٨؛ تاریخ پذیرش: ١٤٠٣/٠٩/٢٧؛ تاریخ انتشار آنلاین: ١٤٠٣/١٢/٠١
استناد به این مقاله: عباسی، نسرین ؛ زمانی، مهدیه (١٤٠٣). بررسی پدیده نوستالژی در اشعار الأعمی التطیلي. پژوهش در آموزش زبان و ادبیات عرب، ٦(٢)، ص ١٩٧-٢١٢.
ناشر: دانشگاه فرهنگیان http:// https://amozesharabi.cfu.ac.ir نوع مقاله: پژوهشی
© نویسندگان

-المقدمة و تقديم البحث:

النوستاليجيا لفظة فرنسية تعنى الغربة والحنين، وقد دخلت مختلف مجالات الفن و الأدب جديداً، «إن النوستاليجيا يرتبط بعلم النفس و قد اطلق -حالة- الجنود الذين كانوا يعملون بعيدين عن السكنى والأسرة ويعانون من أشكال الاكتئاب والمرض ثم ورد شيئاً فشيئاً في مجالات أخرى ولا سيما في العلوم الإنسانية.»(شريفيان، ١٣٨٦)الحنين إلى الماضي أمر طبيعي لدى الإنسان، و قد يكون التعبير عن الحنين إلى الماضي تعبيراً عن عدم الرضى بالواقع. يسعى الإنسان دائماً للهروب من حالة غير مطلوبة. ان الشاعر يبحث عن مطلوبه، إما مع اللُجوء إلى الماضي وإما مع حلم المستقبل. إنّ الأسف على الماضي والتوق والحنين المفقود الذي يشغل الذهن يكون من المكوّنات الرئيسية للنوستاليجيا.

شعر الحنين من الموضوعات التي قد تطرّق إليه قديمًا وحديثًا، ويمتاز بالعاطفة الصادقة والأحاسيس الحزينة المتأججة .فهو تجربة شعورية خاضها الشاعر القديم معبرًا عن شعوره بالفقد وإحساسه بالاغتراب من خلال أشعاره الرقيقة التي لا يكاد يخلو منها أدب أمة من الأمم.« فقد سعى هؤلاء إلى تقصي ظاهرة الحنين إلى الوطن بمن فيه، منذ العصر الجاهلي، حيث عبر الشاعر الجاهلي عن حنينه و شوقه من خلال وقوفه على الطلل كما عبر عن لوعته و حزنه لبعدها و فراقها. لكن البداية الحقيقية لهذا الغرض" الحنين "كانت في بداية عصر الدولة الأموية في الأندلس، نتيجة الابتعاد والاغتراب عن البلد الأم، ثم تطور و ازدهر في العصور اللاحقة، و لا سيما لدى الأندلسيين .فإن كان المشارقة لهم فضل السبق في هذا الموضوع. فإن الأندلسيين قد لحقوا بهم، و توسعوا فيه أكثر منهم من حيث الوفرة، أو قوة العاطفة، و لعل السبب في ذلك مرده إلى الأحداث السياسية في الأندلس، و سقوط معظم المدن الأندلسية بيد الملوك الإسبان»(**أنظر،ابراهيم الخليلى ،٢٠٠٧: ٦).** لقد ضرب اعمى التطيلي، أروع الأمثلة في الحنين و الغربة، ظهر ذلك واضحًا جليًا من خلال الأشعار التي نظمها، والتي تعبر عن مدى تعلقه بوطنه و حبيبته و ذاكرته الماضيه.ما نريدُ أن نبينه في مقالتنا هذه وقفاً لِلمنهج الوصفي - التحليلي ، هو الاحساس بالغربة وجذورها وإبعادها عند الشاعر الأندلسي ،الأعمى التطيلى محاولينَ إزاحة الستار عن تقنياته الفنية وتوليده النص الأدبى.

رغم أن الباحثين قد تطرّقوا إلى بعض القضايا الفنية أو ظاهرة العمى أو تحليل النفسى في شعر الأعمى التطيلي، لكن النوستاليجيا ظاهرة غاية البحث التعرّف على ظاهرة النوستاليجيا عند الأعمى التطيلي الظاهرة التى لم يعن بها الدارسون عناية بالغة ونحن نتوخى في هذا المقال أن نركز على هذا الموضوع و نجيب عن هذه الأسئلة::

١-ماهي الدوافع الأساسية لإيجاد حس النوستاليجيا عند الأعمى التطيلي؟

٢- ماهي أهم الخصائص الفنية لأشعار النوستاليجيا في عينياته؟

٢-خلفية البحث:

من أهمّ الدراسات التى قد اجريت في هذا المجال يمكن أن يشير الى مقالة «دراسة ظاهرة نوستاليجيا في شعر ابن خفاجة الأندلسي» للدكتور على باقر طاهرىنيا(١٣٩-العدد١٧) في مجلة ادب غنايى بجامعة سيستان، و «دراسة مقارنة لظاهرة نوستاليجيا في شعر شاملو و البياتى» للدكتورة كبرى روشنفكر (١٣٩٨-العدد١٨)في مجلة «جستارهاى زبانى» بجامعة فردوسى، «هاجس الاغتراب و الترحال عند عبدالوهاب البياتي» لناهده فوزي (١٤٣٢-المجلد٦)طبعت في مجلة الجمعيه العلميه الايرانيه للغه العربيه و آدابها . كتاب«الإغتراب فى الشعر الأموى»، لفاطمه السويدى(١٩٩٧) و كتاب «دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي» من صالح زامل.

أيضاً هناك دراسات جليلة حول شعر و أدب الأعمى التطيلى من امثال «الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلى»، لعلى الغريب محمد الشناوى، «الأعمى التطيلى شاعر عصر المرابطين دراسة موضوعية فنية» لمحمد عويد الطربولى «أثر العمى في شعر التطيلى دراسة نفسية» لزياد طارق جاسم «رثاء المرأة في شعر الأعمى التطيلى» لمنى بنت عبد الله المفلح في كلية اللغة العربية - بجامعة الإمام. حاول هذا البحث أن يكشف عن ظاهرة نوستاليجيا عند الأعمى التطيلي و بواعثها و يستجلي أبعادها. تم البحث على اساس الوصفي - التحليلي، في ضوء المنهج النفسي للادب وقد وقع هذا على دراسة العينيات دون باقى القصائد.

٣-نوستاليجيا و علاقتها بالأدب

على الرغم من أن مصطلح" الإغتراب أو النوستاليجيا" يعتبر من أكثر المصطلحات تداولا فى جميع مجالات النشاط الثقافي فهو لايزال يعانى من الغموض الذى تفرضه طبيعته وبما أنه من الصعب وضع تعريف دقيق لمصطلحات العلوم الإنسانية. فقد تضارب الإتجاهات في شأن هذا المصطلح المتنوع الدلالات. لذا يفضل أن نتفق على ماهية نوستاليجيا فى استخدامات هذا البحث.

النوستاليجيا تعني الحسرة على الماضي والرغبة في العودة إلى الديار و الحنين إلى الوطن. هذه الكلمة مشتقة من آلتي الموسيقى اليونانية (notos) أي العودة و (*algos*) أي الألم و المعاناة. (بور أفكاري، ١٣٨٢: ١٠١١) اختار علماء النفس لهذه الكلمة، الحسرة على الماضي. (باطني و غيره، ١٣٧٢: ١١٣) و من المعاني الأخرى للكلمة: تضايق القلب بسبب البعد عن الوطن أو تذكير الماضي المتلألئ أو الذكريات الحلوة و المرّة. (أنوري، ١٣٨١) فمن خلال ما ورد في هذه المعاجم اللغوية نرى أنها أجمعت على أن النوستاليجيا بمعنى واحد، إلا أنه افتعال من الغربة. وأن المراد بهذا اللفظ هو البعد والنأي والنزوح عن الوطن.

إن كلمة النوستاليجيا (الحسرة على الماضي، تضايق القلب، الحنين إلى الوطن) لم تنبعث من عالم الشعر أو الأدب أو السياسة، بل ظهرت في علم الطبّ. أبدع هذه الكلمة لأوّل مرّة يوهانس هوفر[1]-طالب سويسرائي- عام ١٦٨٨، أي قبل ثلاثمئة و خمسة عشر سنة في أطروحته لفرع الطبّ و «أراد بهذا الإبداع أن يوضّح الألم المنبعث من أمل العودة إلى الأهل و الديار. أدرك علماء السويسرا أنّ شوربة أو حليبا لذيذا لأمهات القروية و لاسيما القرية و أغنيتها تؤدي إلى حسّ النوستاليجيا بين جنودهم.»(تقى زاده، ١٣٨٧)

يتكوّن النوستاليجيا من عناصر، منها: « ١. تضايق القلب ٢. الرغبة في العودة إلى الوطن ٣. تذكير الذكريات مع الحسرة ٤. اللجوء إلى عهد الطفولة و ذكرها بالحسرة ٥. الأسطورة ٦. الآركائيك ٧. اللجوء إلى المدينة الفاضلة. والجدير بالذكر أنّ عنصر الرائحة و الصوت يؤثر في تذكير الماضي و بالتالي في تحفيز مشاعر النوستاليجيا.» (عالي عباس آبادي، ١٣٨٧: ١٥٧) و من الأرضيات التي تسبب عن ظهور ظاهرة النوستاليجيا هو البعد عن الوطن وأزمة الهوية وغالباً مّا يحدث النوستاليجيا لتقليل المصائب التي تنشأ لهذه القضايا... امتزجت فطرة الإنسان و الحبّ إلى الوطن، حيث شبّه الحكماء الغريب إلى «اليتيم الذي أصيب بصدمة عنيفة»(طاهري‌نيا، ١٣٩٠)

٤-النوستاليجيا و ذاكرة الجماعية

هناك علاقة وثيقة بين النوستاليجيا و الذاكرة والتراث ؛ بعبارة الأخرى تكون إعادة الكلام و تذكير الذكريات من المبادئ الرئيسة للنوستاليجيا «وجود الذاكرة أمرٌ طبيعيٌ لكل شخص، لكن عندما يتذكّر الإنسان ذكرياته الماضية حيث تظهر علامة التشاؤم فيه، يشعر بالنوستاليجيا»(تقى زاده، ١٣٨٧) الذاكرة الجمعية هي ذاكرة مشتركة بين مختلف الجماعات المكونة للمجتمع، وبعبارة أخرى الذاكرة الجمعية هي مجموع كل الذاكرات الجماعية(سوكاح،٢٠٠٦) فالذاكرة الجمعية هي ذاكرة مشتركة بين مختلف الجماعات المكونة للمجتمع.(المصدر نفسه)

تعتبر الذاكرة التاريخية نوعاً من الذاكرة الجماعية، إذن لم تعدّ الذكريات الفردية متمركزة ومنحصرة في داخل الفرد، بل أضحت تملك مكاناً لها ضمن المنظومة الاجتماعية كنتيجة لتفاعل هذا الفرد مع بيئته الاجتماعية، فعن طريق الحوار مع الآخرين (مثلاً مع أفراد الأسرة أو الأصدقاء أو غيرهم) يتسنى للمرء تذكر محطات وتجارب هامة في حياته.(المصدر نفسه) يمكن القول إن الشعراء أدركوا أهميّة توظيف التراث الغنيّ والذاكرة الجماعية في قصائدهم لما له من تأثير يداعب مشاعرهم لا سيّما وأنّ التراث يحمل ملامح الانتصارات التاريخيّة، فتمسّكوا به. في العالم العربيّ أيضًا نلاحظ ارتكاز الكثير من الشعراء على أمجادهم التراثيّة يستلهمون منها لبثّ ما يريدونه من الأفكار. وكانت شخصيّات التراث الأسطوري ورموزه وأيقوناته هي الأصوات التي عبّر الشاعر العربيّ من خلالها عن هُويّته بكل ما فيها من المكوّنات من جهة، ومن جهة أخرى عن كلّ أتراحه وأفراحه، وأنْ ينشد للحُريّة أعذبَ الغناء وأنبله.

---

[1] Uhans hofer

بما أنَّ النوستاليجيا ذات حدود مشتركة بين الأدب و النقد الأدبي و هما يتصلان اتصالاً وثيقاً بعلم النفس، فهناك علاقة بين هذه الفروع. «الأديب في كل ما يصدر عنه من نشاط أدبي يستلهم تجاربه العقلية و النفسية و لهذا فالأدب مرآة عقل الأديب و نفسه»(عتيق، ١٩٧٢: ٦١)

فالهروب من الواقع المُخيّب للآمال إلى عالم الخيال؛ وذلك من خلال الإفراط في استخدام الخيال، والتصورات الإبداعيّة، أو الخياليّة من ميزات الشعر النوستاليجا وترتبط هذه الحسرة غالباً بأصول رومانسية، توجد في هذه المدرسة أصول تداخل موضوع النوستاليجيا، منها: « الهروب و السياحة، المعاناة من البيئة و الزمن الراهن و الفرار إلى الأمكنة أو الأزمنة الأخرى غير ما نعيش فيها، الدعوة إلى رحلة تاريخية أو رحلة واقعية أو رحلة على أجنحة الخيال؛ هذه من ميزات مدرسة الرومانسية. تحدث كلّ هذه الرحلات رجاء أن يجد الفنان الرومانسي بيئة جميلة و ألواناً جديدة و أخيراً الجمال المطلوب الذي يسعى لتحقيقها. توجد في الأدب الغنائي أيضاً ملامح من النوستاليجيا، لأنّ المعاني الرئيسية فيهما تشمل العشق و الشيخوخة و الوطنية و غيرها.» (سيد حسينى،١٣٨١: ١٨١) فساحة الأدب الغنائى و النوستاليجيا تشترك في الجوانب المعينة بالأحاسيس و الشعور بالحزن.

٥-دراسة النوستاليجيا في قصائد الأعمى التطيلي[١]

شعر الحنين من الموضوعات التي قد تطرّق الشعراء قديمًا و حديثًا، و هو يمتاز بالعاطفة الصادقة و الأحاسيس الحزينة المتأججة، فهو تجربة شعورية خاضها الشاعر القديم معبرًا عن شعوره بالفقد و إحساسه بالاغتراب من خلال أشعاره الرقيقة التي لا يكاد يخلو منها أدب أمة من الأمم. فقد سعى هؤلاء إلى البحث عن ظاهرة الحنين إلى الوطن بمن فيه، منذ العصر الجاهلي، حيث عبر الشاعر الجاهلي عن حنينه و شوقه من خلال وقوفه على الطلل" طلل الحبيبة الراحلة "كما عبر عن لوعته و حزنه لبعدها و فراقها، لكن البداية الحقيقية لهذا الغرض -الحنين- التي كانت في بداية الدولة الأموية في الأندلس نتيجة الابتعاد والاغتراب عن البلد الأم، ثم تطور و ازدهر في العصور اللاحقة، ولا سيما لدى الأندلسيين. فإن كان المشارقة لهم فضل السبق في هذا الموضوع، فإن الأندلسيين قد لحقوا بهم، و توسعوا فيه أكثر منهم من حيث الوفرة أو قوة العاطفة و لعل السبب في ذلك مردّه إلى الأحداث السياسية في الأندلس، و سقوط معظم المدن الأندلسية بيد ملوك الأسبان. لقد ضرب الأعمى التطيلي أروع الأمثلة في النوستاليجيا، منها:

---

[١] **الأعمي التطيلي**« هو أحمد بن عبدالله بن أبي هريره عاش في أواخر القرن الخامس الهجري و أوائل القرن السادس و كان من أشهر الأدباء في عصره. قامت شهرته في نظم الموشحات و فاقت أيضاً في قول الشعر.» (الحلو، ١٩٨٦: ٣٩). « التطيلي لا يقف عند حدود الشعر و الموشح بل يتجاوزهما إلى النثر. شعر الأعمى التطيلي يمتاز بالدقة و جودة السبك و متانة العبارة و صدق المخيلة الشعرية. إن ابن سعيد الاندلسي قد شبهه بالمعري، ربما يكون ذلك بجامع العاهة لدى كل منهما.» (الشناوي، ٢٠٠٣: ٤١) من الباحثين المحدثين الذين أثنى عليه عمر فروخ بقوله:«شاعر وجداني، محسن، مجيد، و شعره عذب، رائق، جزل الألفاظ، متين الأسلوب و موشحاته مختلفة النسق جداً حتى كأنه يقصد أن ينظم كل موشحة من موشحاته على نسق متصل.» (فروخ، ١٩٨٣: ٢)

عانى التطيلي من العيش في دياجير الظلام طويلاً من الزمن، و الذي نجده أن المصادر لا تدلّنا على نوع العمل الذي كان يمتهنه، ولا توجد في شعره إشارة إلى مهنة كان يزاولها، إذا ما استثينا« التكسب بالشعر باعتباره مصدراً للرزق، و إن كنا نتصور أن مهنة التعليم هي أقرب الأعمال إلى طبيعته، إلى جانب تكسبه بالشعر كما ذكرنا حيث نجد أن زوجته تلومه على قعوده عن طلب الرزق فيجيبها أن سوق الأدب كاسدة.» (عباس، ١٩٦٣: ١٦)

ولم تذكر المصادر نسب التطيلي غير ما تقدم ذكره،« ويبدو أنه لم يكن من أسرة مشهورة في ميدان العلم والأدب، أو أغفلت المصادر ذكرها؛ فلم تشر إليها قليلاً أو كثيراً. وقد شارك الشاعر نفسه في إغفال شأن أسرته، وإسدال الستار على حياتها وأخبارها، بحيث لا تكاد توجد إشارة إلى والده أو إلى أجداده فيما بين أيدينا.» (الهرامة، ١٣٩٢: ٩)

٥-١-النوستاليجيا و وصف العشق

العشق لفظ له منزلة سامية في البحوث الأدبية و هو مركز التأمل و أكبر الذريعة لافتعال الموقف و قول الشعر، مبدأه و أساسه ازلي و في آلامه لذة.، فهنيئاً لسلمى هذا التوق و الحنين. و يقرّ أنه ينسى اسمه عندما يتذكّر سلمى و يقول ما يقول في العشق و قد جرّب قول عين القضاة الهمذاني بلحمه و دمه و هو يقول: العشق واجب في الطريق و اختار أن ينال الإدراك السامي بفضل العشق و يتجنّب من عدم الاكتراث و يفضّل الآخر على نفسه و لا يدخل عالم العجب و الكبر و يرجّح أن يكون عاشقاً حرّاً بدل أن يكون ملولاً ملتزماً بنفسه فقط. و لا تجد في غزله المعاني الحسية، بل تحس بالحب العذري والحب الأفلاطوني (المثالية *الأفلاطونية)الذى* يحتوي مفاهيم العفة و الشاعر يسدل الستر من روحه العاشق و يرى القارئ في أبياته نوعاً من المحادثة. إن سلمى في الشعر العربي مظهر العفة و العشق العفيف يجسم الشاعر لنا مدى شوقه و لوعته بالحبيبة الراحلة و يبث في البيات الروح الرومانتيكية التى تتمثل فيها عاطفةالشاعر مملوءة بالشكوى. (الطويل).

فؤادٌ عَلى حُكمِ الهَوى لا عَلَي حُكمي يَهيمُ علَى إثرِ البَخيلَةِ أو يَهمي
مَتى أَشتفي مِن لَوعَتي و أُطيقُها إذا كان يُجنيها فُؤادي عَلَى جِسمي
هنيئاً لِسَلمَى فَرطَ شَوقي و إنني ذَكَرتُ اسمَها يَومَ النوى و نَسيتُ اسمي

(الأعمى التطيلى، ١٩٦٣: ١٧٥)

فعاطفة الشاعر هنا راقية و قد استطاع الأعمى أن يلبس معانيه ما يلائمها من الألفاظ والتراكيب الدالة عليها. و هو يصوّر حالةالاستلاب و الضعف الذين شعر بهما يوم فراق الحبيبة مشيراً إلى تبادلهما الحب و الحزن معاً. فهذه اللوحة إنما وضعت لتخلق «أرضية نفسية تفتح الطريق إلى التجربة الموضوعية و تمهد لإطارها و تفاصيلها و ترسم ملامح آفاقها منذُ المرحلة الأولى في بناء الحدث الفني».(الجادر، ١٩٩٠: ٧٦)أحاط حسُ النوستاليجيا بأشعاره لأجل الشكوى و الحسرة من الفراق و في قلبه أمل الوصال تارة ثمّ يجيب نفسه بأن لا يوجد رجاء العودة ثمّ يفرح مرة بذكرياته في ليالى الحبّ حيث لا محبوبته باخلة في العشق و لم يمنع الشاعر ظهور مشاعره بالحب ثمّ يغشّيه الحزن المسكر تارة أخرى.

تُظهركلمة «هيهات» شدة حزن الشاعر و سقمه من الفراق، لكن مع هذا ليس النوستاليجيا في شعره مكدّراً أسود.

أ وَصلَ ذاتِ الخَالِ هَل مِن مُرجع هَيهات ليسَ لِما تَولّى مُرجعُ
يا لذّ ما أَدري و قَد وَدّعتَني مِن أي شيء أنفَى أو أَجزَعُ
هَل تَذكرين لياليا بِتنا بِها لاأَنتِ باخِلَةٌ و لا أنا أمنعُ

(المصدرنفسه،٧٨)

إن العشق يكشف ضمير العاشق، و يعلن السرّ الماضي و عاطفة شعر الاعمى تبرز أنه يخلو من العشق المزيّف كما يقول التطيلى: إنّ النوم بحاجة إلى نفس مرتاح البال و هل يمكن أن ينام الإنسان و القلب يلتهب في نار الفراق؟ نعم. إنّ النوم حرام على العيون التي لا ترى أحبّاءها فالبُعد من الأحبّاء دافع أساسي لإنشاد هذه الأبيات.

النومُ بعدَكُم عَليَّ محُرَّم مَن ذا يَنامُ و قَلبُه يتَضرمُ

(المصدر نفسه ،٣٠١)

يستخدم الشاعر خياله في بناء شعره و يمزج بين العاطفة و الشعور و الحس. يعادل في بعض الصورة بين الصحراء و أيام الصدود و الحرمان التي عاشها و «الصفة المشتركة بين الصحراء و الأيام هي ثقلهما و آلامهما»(مجلى الدخيل،٢٠٠٦: ٦٢) فهذه الصحراء التي شبه أيام الهجر، يرى فيها الضحى شاحب اللون ليوازيها بالإسراف في الطول والاتساع. و الصحراء تمثيل حالة الشاعر النفسانية.(الطويل)

وَ بَيدٌكأيام الصدُودِ تَرَى الضُحى بِهَا شاحب لا مِن شكاة و لاحُبِّ

(المصدر نفسه ، ١٣)

يستلهم الشاعر في البيت التالي عناصر الاستعارة من حياته اليومية، فيشبه محبوبته بالكعبة التي يطوف حولها العشاق و التي لهم بها حج و معتمرٌ على سبيل الاستعاره التصريحية الأصلية، حيث يقول: (البسيط)

يا كَعبَةَ الحُسنِ طَافَ العَاشِقونَ بِهَا لَهُم بأَرجَائُهَا حجٌّ وَ مَعتَمِرُ

(المصدر نفسه، ٦٧)

٥-٢-النوستاليجيا و ذكر الشباب و الأسف على المشيب

الشيب نذير الآخرة و الحلقة الأخيره من الحياة. تذكير الشيخوخة و مصائبها من المكونات الرئيسية للنوستاليجيا. هو يشكو من العجز والشيخوخة و عهد المشيب. يعبر البيت التالي عن الحسرة التى تؤجج نيرانها في نفس الشاعر و يقول: لو علم السماء أن الشيب هو النقصان لما تسر نجومه و ليس للإنسان بعد المشيب رجاءٌ يُفسِّر لنا مدى الخوف الذي كان يملأ قلب الشاعر العالِم عندما اشتد به الإحساس بالجانب السلبي للعيش يشعر بالغربة يقول الشعر بالعاطفة المتأججه و الروح المتوقدة:(البسيط)

لو يَعلمُ الأفْقُ أن الشيبَ مَنقَصةٌ لم تسْرِ أنجُمة فيه و لم تَسرِ
و ليس للمَرءِ بعدَ الشّيبِ مُقتَبَلٌ نهايةُ الروضِ أن يعتمَّ بالزّهرِ

(المصدر نفسه ،٥٠)

يشبه الشاعر شبابه الجلي و مقتبل عمره و ريعان شبابه بالفيء الذي يُستظل بظله حيث الراحة النفسية و الاطمئنان. «كأنه يستذكر سنوات صباه و مقتبل عمره و قد يكون استذكاراً منه لطفولته قبل عماه و ما حوته ذاكراته من مخزونات عاطفية، فعمد إلى الفعل المضارع (أُبادِر) الدال على مبادرته السريعة . فالإنسان المأزوم نفسياً يطمح إلى هذا الفيء كما يطمح إليه الشاعر». (مجلي الدخيل، ٢٠٠٦: ١٣١) ثم يقول الفيء _فيء الصبا_ النفسي و ليس مكانياً. إنما مكانه في عبور الذكريات الحالمة به (المصدر نفسه ، ١٣٢مع التلخيص) و نقف امام ابيات يؤكد إحساسه المتواتر بالفناء ومشاعره المطّردة بالتشاؤم هو يقول:(الطويل)

كأنَّ الصّبَا فيءٌ أُبادِرُ فيْأَهُ مَدىً إنما يجَري إلَى مِثلِهِ مِثلي
تَبَوّأتُهُ ما امتدّ لي فيه جَانِبٌ فلّما نأى لم أتبعْ فَيئَةَ الظلِّ

(التطيلي،١٩٦٣: ١٤٣)

يدلّ اللون الأصفر في قصائده على دلالات منها: «ما يوحي بنحول جسمه، و ضعف وجهه و سقمه من شدة ظروفه المعيشية الصعبة و ضنكها، فتآزرت ثلاثة: الأحمر وظلال الأبيض و الأصفر في تصوير حالته النفسية و بنية جسمه و مرضه و شيبه و إظهار حالته الكئيبة و الباكية و ما يحمله من دلالات سلبية تظهر على سلوكيات الشاعر و ملامح جسمه.»(الشناوى، ٢٠٠٣ :٢٦١) هكذا يبثّ في أبياته حساً من النوستاليجيا التطيلى وصف نفسه و انكساره حيث الدموع الحمراء كالدماء النازلة من الجسد بغزارة لما يحل به من فقر فكأنه وصف نفسه امام ممدوحه الذى رأى دموعه الحمراء و شيبه الناصع البياض. يأخذ هذا البيت شكل البكاء الحزين و الحزن الأليم ،جلى إن افتقادة جمالات الشباب التى خلفها في ربيع العمر هو العامل الأول لإيقاظ احساسه بالحسرة و الحنين يقول:

رأى أَدمعي حمُراً و شَيبي ناصِعاً وَ فَرطُ نُحُولي و اصفِراراً عَلَى خدِّي

(المصدر نفسه، ٣٤)

قد ينشد الشاعر الشيب، «لأنه دال على عمق التجربة الذى يقابله الغواية و الطيش. يوحي الشيب بظلال اللون الأبيض»،(الشناوى، ٢٠٠٣ :٢٧٣) تحدث الشاعر عن تجربة ذاتية أصابته منذ نعومة أظفاره و صغر سنه فيتساءل عن هذا الشيب البياضي الذي يوحي بتقدم العمر أو بلوغ سنه فصار شاعر واعيا و مدركاً لما يدور حوله نتيجة خبرته في الحياة.

هَل الشَّيبُ إلاّ الرُّشدُ جَلَّى غوايتي فأصبحتُ لايخفَى عليَّ صَوابُ

(المصدر نفسه، ٩)

يكني في البيت التالي بلقمان و لبده عن طول العمر و فناء الناس و قدوم الموت كما جاء على لقمان و لبده. نعلم أن لُبد لقمان فقد عمّر طويلاً، لكن في النهاية أدركه الموت. يذكرنا الشاعر قصة لقمان و ذاكرتنا الجماعية حوله ليقرب و يثبت علينا حتمية الموت الذى لا مناص منه. يصوّر لنا الشاعر مشهدا دراميا و مقلقاً للإنسان و يقول متحسراً:(البسيط) قُل لِلمُحدِّث عَن لُقمَانَ أَو لُبَدٍ لمَ يَترک الدَّهرُ لُقمَاناً وَ لاَ لُبَداً

٥-٣-النوستاليجيا في الرثاء

الرثاء ثاني الأغراض من حيث الأهمية الموضوعية في القصائد.(أنظر نورالدين ١٩٩٠: ٦٧) يعدّ الرثاء من أكثر فنون الشعر تأثيراً في النفوس. يرثى الأعمى التطيلي زوجته بشدة الألم و كثرة الشكوى و بكاها بالدموع و الصبر و في أبياته هذه لا مجال للتزويق و التملق. يشكو من ظلم الدهر و هكذا يثير مشاعر الآخرين و ينظر إلى زوجته بالعظمة و المحبة. «إن فوت زوجته المبكر يخطف سلوانه و يلبسه الحزن و الألم و اختيار الألفاظ و معانيه الحزينة تدل على الحزن العظيم. يعدّ رثاء زوجته من أجمل قصائده وتكمن أهميتها في كونها حلقة في سلسلة الشعر الأندلسي الرقيق الذي يتناول رثاء الزوجات » (عباس، ١٩٦٣: ن)

إن زوجته أنيسة و رجاءٌ لليالي الوحشة. فقدان الزوجة يذكر الشاعر ذكرياته الماضية و يذكره بأنها عاشت معه فى الآلام ، في الفقر و الغناء و...يشعر بالحسرة. تزداد عاطفة النوستاليجيا في الأبيات التالية باستخدام تكرار كلمة لاتبعَدى لأنه يدل على شدة إنكار الشاعر موت حبيبته « التطيلي هو الوحيد من شعراء عصره الذي استخدم كلمة لا تبعَدي في رثائه».(سلمان عيسى، ١٩٩٨: ١٤١) فتكرار صيغة النهي "لا تبعَدي" يفيد التمني و الحسرة في موقف أليم و يعصف بمشاعره و يدل على شدة الإنكار موتها. «نلمس في تتبعنا لهذه القصيدة عاطفة صادقة، و وفاء نادراً... ولا نغرب كثيراً إذا اعتبرناها من أجود القصائد العربية في رثاء الزوجات».(الهرامة ١٣٩٢: ٣٣) (الطويل)

وَ لا تَبعَدي إنَّ الصَبابةَ حِظَـهٌ لِشَخصِک فِي قَلبي وَ إن كانَ فِي القَبرِ
و لا تَبعَدي إنّي عَليـکِ لَوَاجِدٌ وَ لكِن علَى قَدرِ الهَوَى لا قَدرِي

(المصدر نفسه، ٧١)

وقد كشف الشاعر عن مفارقة عظيمة في تأثير الفقد على أهل الراحلة و الزوج المحبب، وهذه المفارقة تعكس بلا شك صدق المعاناة الناجمة عن الفراق وفراق الحبيبة لديه عذاب ونار مشتعلة ويحس حين الفراق بأن أبواب الراحة مغلق أمامه لهذا يضايق صدره و ينشد الشعر بالعاطفة الحزينه:(الطويل)

ونيتهم قد أجْمعُوا عنكِ سَلْوةً لعشرينَ مَرّتْ من فراقِك أو عَشْرِ
وأذهلهمْ حبُّ التُراثِ فكَفْكَفوا به زفرةً تُعتادُ أو عَـبْرةً تجري

(المصدر نفسه، ٧١)

يستخدم الأعمى الكثير من مظاهر الطبيعة في رثائه معبراً عن شكواه وشدة ألمه والطبيعة هي من المصادر الرئيسية التي تمد الشاعر بمكونات الصورة. يصور لنا أن الطبيعه تبكي على المرثى و النجوم حيران عن هذه الشدة. خلع الشاعر على النجم (الحيرة) و على الصبح (طلبة فرجة من اليل) على سبيل الاستعارة بالكناية و بهذا يبثّ الحركة في شعره و بين مشاعره النفسية التي يعبر بها عن الفقد المحزن، حينما يقول:(البسيط)

وَ النَّجمُ حَيرَانُ مِن أَينَ و مِن ضجرِ فَلو هَوَى أو عَدا مَجرَاهُ مَا شَعَرا
و الصُبحُ يَطْلُبُ في جُنحِ الدُجَى خِلاً يَلُوحُ منهُ، وَ لو ألفَاهُ ما جَسرَا

(المصدر نفسه،٤٤)

٥-٤-النوستاليجيا و الذاكرة الجماعية:

إنّ الحاجة إلى إحياء الثقافة الماضية و الأدب العربي القديم اضطرّت الشاعر أن يرتبط شعره إلى المصادر القيّمة القديمة، فاستطاع أن يصيد الكلمات. الشاعر الحزين عندما يتذكّر تذكاراته يطلق سراحه و يفضّل أن يغمض عن الحاضر و يكفيه الماضي و يذكّر الماضي في ذهنه و ذهن القارئ.

يستخدم الشاعر في الأبيات التالية الثقافة الدينية و التاريخية لإنشاد شعره و فيه قوة كبيرة في استخدامه في الشعر، لأن التراث القومي مظهر لضمير الشعب و تذكاراتهم و هو يحكي قصة نوح (ع) في الطوفان، رغم « أنّ النسج القرآني غيّر القصة بظروف عاطفية، فتغيّر معنى الطوفان من العقاب إلى وسيلة للثواب و الحياة»(الشناوي، ٢٠٠٣: ١٥٦). نرى في البيت التالي أن التراث القومي مصدر إلهام هذا الشاعر الأندلسي الفنان، حيث يقول:

وَ لا هُوَ نوحُ غيرَ أنى رأيتُه ورأفَتُه جُودي وجَدْوَاهُ طُوفَانُ

(المصدر نفسه، ٢٢٣)

إن الأعمى التطيلي قد تناول ثلاث قصص في أبيات متتالية و هی:١.قصة حاتم الطائي، أشهر كرماء العرب الذي اقترن اسمه بالكرم٢.قصة السيف و القلم٣.قصة المنافرة بين عامر بن الطفيل و علقمة بن علاثة التي حكم فيها هرم بن قطبة بن سنان الفزازي.

أيُّ فَتَى قَد خُصَّ بالجُودِ وعَمّ ... أمضَاه قَدماً و مَضَى فيه قَدَم
هيهاتَ منه حَاتمٌ و مَا حَتَم ... مُقابِلٌ بَينَ الدّرارِى و الدّيم
بِهِ و فيهِ شَايعَ السَّيفُ و القلمُ ... وطَالمَـا تَنَافرا فَلا جَرم
إن العُلا مِمَا حَبَا و مَا قَسَم ... تراضَـيا بِهِ و شَكَا في هَرِم

(المصدر نفسه، ١٨٦)

قال الشاعر يحرض اهل إشبيلية على رجل عسوف يظلم الناس و يشبّهه بقصة كليب بن وائل و ينشد أنّه كان دأبه العسف، فمصيره نحو الهلاك و الموت، ثمّ يذكّر قصة كليب بن وائل في حرب البسوس مشيرا الى أنه كيف حمى الحمى ثم كان مصيره القتل لتجبره و عسفه. جلى إنّ مشاعر الشاعر و الأفكار و عاطفته الغضبة تنعكس في شعره، و ينقل إلينا عاطفته النوستاليجيا باختيار اللفظ و الصورة و الموسيقى الذى يظهر دلالات الشاعر النفسانية. «تقول كارولين اسبرجن[1]: إنّ الصور الشعرية تكشف ضمير الشاعر دون الوعي، ثمّ ينضمّ إلى كلامه أنه لا يمكننا الحكم القاطع أن تكون استنباطاتنا النفسانية صحيحة كلها». (رجائي، ١٣٨١، ٧٥).

وَ قَد عَزَّ في مَنعِ سُلطَانِهِ ... كُلَيبٌ، فَكَيفَ رأيتَ الحمَى

(المصدر نفسه، ٢)

٥-٥-النوستاليجيا و البعد عن الوطن:

إن عناء الغربة عن الوطن عناءٌ عظِيم لايعرف مداه إلا من أصيب به. عندما يفقد الإنسان كل ما آنس به دفعة و يحسّ بأجواء غير مألوفة و غير مأنوسة يكدر عيشه. أهم التجارب و أكثرها إيلاماً- وراء الإحباط و الألم- هو الشعور بالوحدة و الحنين إلى الوطن. يتضح في هذه الأبيات صدق عاطفة الشاعر بالغربة و حنينه الدافق إلى مسقط رأسه و هو يشكو من الاقامة في وطنه و يحس بغربته. نسمع أنين شكواه من عاهته في مواضع متعددة و معانٍ متباينة و ممزوجة بمعاني الغربة و كبر السن. يقول: (البسيط)

أمَا اشتَفَتْ مِنِّيَ الأيامُ في وطني ... حتى تُضَايِقَ فيما عَنَّ من وطرِ
ولا قَضَتْ من سوادِ العين حاجَتُها ... حتى تَكُرَّ عَلى ما كانَ في الشَّعَرِ

(المصدر نفسه، ٤٩)

ونلاحظ أنه ما أشار قط إلى تطيلة في ديوانه، فلم يحمل من مولده إلا النسبة إليه. (عباس،١٩٦٣:ه) هذا و إنه كثيراً ما يذكر إشبيلية التي نشأ بها و قضى فيها أكثر أيام حياته، ولم يكن مسروراً و سعيداً من الإقامة فيها، ومع ذلك فقد كان لا يحب مغادرتها، و لكنه يبدو فيها ملولاً أحياناً. يعبر عن سأمه من الإقامة بها و يلجأ الشاعر إلى الفخر بنفسه ليخفف شعوره بالاغتراب و يهدأ نفسه، حيث يقول:

نَبَتْ بيَ حِمْصٌ جادَها كلُّ مُرهمٍ ... تُهِلُّ الرُّبا بالشكرِ أيَّان يَهمَعُ
و ما كنتُ أخشَى أن أحُلَّ ببَلدةٍ ... بها غَصَصٌ مِن أهلِها وَ هي بلْقَعُ
يَنبِئَني الحِرمانُ عَن كُلِّ مَطلَبٍ ... وَ أطمَعُ في مَا ليسَ لي فيه مَطمَعُ

(المصدر نفسه، ٧٩)

---

karolin spurgeon

فكان من الطبيعي أن يشكو من الغربة و قد عبرت أبياته عن حزن البعد و الشوق إلي موطنه ومعاناة الغربة. و«حمص هنا هي إشبيلية؛ لأن أهل حمص لمَّا دخلوا المغرب استوطنوها، فسميت "حِمْص الأندلس"» (عباس،١٩٦٣: و) .و قد يحن الشاعر إلى موطنه و يصف ناقته على تحمل طول السفار دون أن تضعف أو تهزل و يصف سيرها المدهش في النهار الواضح الحارّ في البيداء المقفرة و في سواد الليل و كشرته عن أظفاره و يصفها بأن الناقة تسير على الإبرة.

أما ترى العِرْمِسَ الوجناء كيف شَكَتْ ... طـولَ السّفارِ فلم تَعْجِزْ ولم تَخُرِ
تَسري و لو أنَّ جَوْنَ الليلِ مَعركـةٌ ... من الرِّدَى كاشِراً فيها عن الظُّفرِ
باتتْ تَـوَجَّى، وقد لانت مواطِنهـا ... كأنَّها إنما تخـطوعلـى الإبـرِ

(المصدر نفسه،٥٠)

لقد كانت الأبيات تبيّن غربته بين أهله و عشيرته، فيعبر عن هذا الإحساس و تلك الغربة، فمشاعر الحسرة و الألم النابعة الجياشة تبدو لأول وهلة يحس بفقد الأمل حول الوطن ورغم حبه الشديد له إلى حالة من اليأس والحزن و اشتدت به عاطفة الحنين.(الكامل)

عاجَت عُلاهُ عَلَى القَـوَافِي عَوجَةً ... نَفَضَت رِمَامَ رسُومِـها الأَدرَاسِ
في حيثُ أوحَشَهَا الـزَّمَـانُ وَ أَهلُهُ ... فاستَعجَمَـت مِن غُربَةٍ و تَنَاسِي

(المصدر نفسه، ٧٥)

٥-٦-النوستاليجيا و الغربة الاجتماعية

تحدث الوداعي «الباحث في الادب الأندلسي »عن نظرة الفقهاء إلى الشعر فِي عصر المرابطين «أنهم اتخذوا منه موقفاً صارماً و راحوا يؤطرون الموضوعات التى ينبغى للشاعر الخوض فيها،و قسّموا الشعر كغيره من الأشياء و الموضوعات إلى جائز و محرّم و مكروه متخذين من قوله تعالى* و الشعراء يتبعهم الغاوون* مدخلا ليقرروا أنه لا ينبغى للشعر أن يكون الغالب على العبد»(الوداعي:١٩٣١ : ٣)

أفضل مما يعكس الوداعى عن ضعف دولة الشعر في عصر المرابطين هو مايصور لنا التطيلى من عدم العناية إلى الشعراء بالنسبة إلى الفقها و لا أمن و لاهدوء يشجعان الأديب على العمل و نرى كيف يحس بالغربة الأجتماعية و يشكو من حرمان الأدب و انحدارشأنه يوم كان على يد المتنبى و البحتري و أضرابهما في العصر العباسي«من شاء أن يتصور ما أحدثه عصر المرابطين من أثر فى الشاعر و في شعره، فإنه يجد في ديوان الأعمى التطيلي و موشحاته صورة ذلک، إن انحدار حال الشاعر بالنسبة للفقيه، لم يجد من يعبر عنه بأقوى مما قاله التطيلي».(عباس، ١٩٦٣:ف) يشبه الشاعر نفسه بالصحراء التي تعادل الموت و الفناء و يشكو من كساد صنعته و يبكى على دولة الشعر التي خمدت نارها و يحس بالفشل في نشاطاته الأدبية، الفشل الناتج عن اهتمام الملوک بالفقهاء وعدم اكتراثهم بالشعراء.« قد جائت الصحراء في شعر الأعمى التطيلي موازياً للعزلة و الوحشة و الحرمان».(الشناوي،٢٠٠٣: ٢٠٦) «لعل إحساسه بالغربة، قد خلّف لديه الشعور بضياع الأنا الذي تحول إلى ضياع نحن» (المصدر نفسه، ٤٩) .خيّم على أشعاره اليأس و التشاؤم و قد جرح قلبه بالآلام و سأم، كأنه يحمل من الغم ما لا يحمل جبل الرضوى. في عصره ضاع الشعر، ضاع الشعراء و ثلت عروشهم ، و هذا مما دفع شاعرنا بأن يصرخ و المراد هنا من "قام زيد" الأدب و علومه و "قال مالک" الفقه و الكلام و اخواتهما مشيرا الى أن الفقه حل محل الادب و الشعر، ما بقى عند الشاعر أي ضوء أمل يتفاءل به لهذا يضيق صدره بهذه الظاهرة المأساوية ويحكى لنا ألمه و احساسه بالغربة، هذه الأبيات مرآة تنعكس أزمة المجتمع و وثيقة الاتهام عليه. (الطويل) :

أيَا رَحمَتَا للشِّعرِ أقوَتْ رُبوعُه ... عَلَى أنّها للمَكرُماتِ مَنَاسِكُ
و للشُّعَراءِ اليومَ ثُلَّت عُروشُـهم ... فَلا الفَخر مُختالٌ وَ لا العِزُّ تامِكُ
فَيا دَولَةَ الضّيمِ اجمِلي أو تَجَامَلي ... فَقَد أصبَحت تِلکَ العُرى وَ العرَائکُ
و يا« قامَ زيدُ» أعرِضي أو تعَارضي ... فَقَدحالَ مِن دونَ المُنى« قال مالِکُ»

(المصدر نفسه، ٩١)

ترى ياء النداء تخرج إلى التحسر و التوجع لتخلق جواً من الحسرة و الأسف و هو يتمرد على الواقع الذي يعيش فيه و له النفس الأبية التي ترفض الضيم و الذل

إن التعبير الكنائى"أ أكسر قوسي" إشارة إلى صدود علية القوم عن شعره و إغداق العطايا و الهبات عليه(مجلي الدخيل،٢٠٠٦ :٢٣٢) هذه الإشارة الكنائية كآبة و قنوطة من المنتقذين الذى مدحهم، رغم أنه رمى بكل قواه وقدرته الفنية،فعلاقة التضاد قامت من خلال موقف القبول و يرفض رغم العمل و المشاق.إنه يأسف على نفسه كيف أراق ماء وجهه لكى يحصل على مالٍ يعيش بها مدة من الدهر لكن ضاع عمله و فشل رغم أنه لم تدخرأي جهد في هذالسبيل .

كَم نُطفَةٍ مِن مَاءِ وَجهي أَرَقتُهَا بوديَ لو أنّي أرَقتُ لها دَمي
و ما لمُتُ نَفسي يَومَ جِئتُكَ مَادِحاً وَ لكنّهُ مَن يحَرِمِ الله يحُرَم
أ أكسِرُ قَوسِي بَعْدَ علمِي بأنّني رَمَيتُ فما أَخطَيْتُ شاكلة الرَّمي

(المصدر نفسه،١٧٤)

يرى القارئ تشائم الشاعر في هذه الأبيات لأن الظلم السائد و سيادة الطغام في عهده اضطرّه إلى إنشادها، زادت عاطفة نوستاليجيا به لإنه يحس أن الوطن ليس وطنه استولى عليه الظالمون و ليس فيه مستغاث يستغاث به و مشتكى يشكو اليه غربة غياب العدل في الوطن . أفلا تراه يقول:(المتقارب)

فَشَا الظُلمُ وَ اغتَرَّ أشيَاعُه وَ لاَمُستغاثُ و لا مُشتَكى
و سَادَ الطُغامُ بِتمويههُم وَ هَل يَفدَحُ الرزءُ إلا كذا

(المصدر نفسه ،١٠)

٥-٧-غربة الذات

إنه كسير القلب و محطم النفس و يحس بالغربه النفسية و يشكو من عاهة العمى دائماً و يورده فى أغراض الشعر و يمزجه بالغربة و الشيب. ولكن ليست الغربة غرضاً مستقلا في شعره، بل هي امتزجت في قصائده في أغراض المدح و الرثاء و غير ذلك. لقد بدت شخصية الأعمى التطيلي حزينة كابة من خلال شعره، و هذا يؤيد ما قالته اليزابت درو حول شخصية الشاعر: « إن شخصية الشاعر قد تلعب دوراً في الشعر بأكثر مما يتصور الشعراء. ولكن إن لم يكن الشاعر حاذقاً لفنه؛ فإن شخصيته ستظل مختفية في عمله و لا تستطيع أن تصل إلى الآخرين. » (١٩٦١: ٢٤) إن غربته النفسية أسوء أنواع الاغتراب لديه، إنه يذكرنا هول الفاجعة و ما أحدثته في النفوس من الألم ما حلت به في وطنه من الأسف تهتز به عاطفة المتلقي. شعره تعبيرٌ حيٌ صادق عن حاله و بكل ما في الكلمة من المعنى و هي شكوى حزينة مؤلمة. يقول السقطى: «مما لا شك فيه أن فقدان البصر خسارة كبيرة، و حرمان و شعور بالعجز و الشلل و مدعاة للانطواء و العزلة، ولكن من حسن الحظ، فإن متطلبات الحياة و النزعة الاجتماعية عند كل إنسان، تدفع الكفيف –عادة- إلى محاولة إثبات وجوده و تأكيد قيمته في المجتمع الذي يعيش فيه اعتماداً على ما يملك من حواس أخرى، فيستجمع كل طاقاتها و يكفيها و يتكيف لها؛ كي يحقق أغراضه اليومية و المستوى الاجتماعي الذي يرتضيه».(السقطي، ١٩٦٥: ٣٦)

إشتَقَت مَني الأيـامُ في وَطَنـي حَتى تُضايقَ فيما عنَّ من وَطَرِ
و لا قَضَت مِن سَوادِ العينِ حَاجَتُها حَتى تَكرُّ عَلَى مَا كَانَ فى الشَّعر

(التطيلى،١٩٦٣: ٤٩)

العمى قد ترك أثره في تصويره الشعري حيث يقول: إنّ الموت الذّ عندي من الشهد، فيغشيه الحزن و الغربة النفسية. و يمتزج مفهوم عاهته بألفاظ الموت و الفناء و الاستعداد ليوم الرحيل. يقول: من كان الموت عنده مراً، فعندي أحلى من العسل؛ أي ربما طلب الموت ليهرب من عاهته يدل على احساس التعب في العيش و الغربة و لا يرى ضوء أمل في المستقبل يتفاءل به ينشد الشعر طالبا الموت.

مَن كانَ يَفظَعُ طَعمَ المَوتِ في فَمِه فإنه فِي فَمي أَحلَى مِن الشَّهد

(المصدر نفسه،٣٥)

يري القارئ في البيت التالي إنه ينطوي علي حزن عميق و يمثله خير تمثيل. في رثاءه لابن حزم يطلب منه العذر لبُعد الشُقة بينهما و عاهته التي أقعدته عن الوصول إلى قبر المرثي نعم احساسه بالعمى هو الدافع الرئيسي لإنشاد قصيدته و شعوره بالنوستاليجيا ، حيث يقول:(الوافر)

على أنـّي أُنادِي مِنْ بعيدٍ وَ لمَ أُحْمَ اللِقاءَ وَ لاَ الوُصُولا
وَ لكِن الزَّمَانةَ[1] قَصّرتْ بِي و أجلَى العُذْرِ ما رُزِقَ القَبُولا

(المصدر نفسه ٩٩)

توجد في شعره «النزعة النفسية التى تغلب على الوصف الوجداني، إذ تفيض بذات الشاعر على الأشياء، حتى تطالعنا بإحداق و ملامح الإنسانية تضحك و تبكي، تطرب و تشقي، تتناجي و تشتكي، تعاني وطأة الوجود و نغتبط به، فكأنها إنسان متكامل سويّ، أو كأن الشاعر يصف ذاته من خلال الأشياء».(الحاوي، ؟ : ١٢)

يعبّر الشاعر في قصيدته عن معاني الشكوى من دنياه و عاهته.الحمص هنا الإنسان يمل فيخلع عليها صفات الإنسان على سبيل الاستعاره بالكناية .أي إنه يمل الحمص كأنها حيٌ يعيش و لها احساس و كذالک الحمص تتعبه كما الشخص الموذي يضايق الآخرين يقول:(البسيط)

مَلِلتُ حمِصَ ومَلّتنِي فَلَوْ نَطَقَتْ كَمَا نَطَقتُ تجارينا[2] عَلَى قَدَرِ

(المصدر نفسه، ٤٩)

٥-٨-مصطلح "المهجور أو الآركائيک (*Archaic*) في شعره

فقد عرف محمد علي الخولي مصطلح "المهجور أو الآركائيک بأنه "صفة لكلمة أو تعبير كان مستعملاً في مرحلة قديمة من مراحل لغة ما، ولكنه لا يستعمل في المرحلة الحديثة من اللغة"(١٩٦٢ :٢٢) يقول جلال آل أحمد: إن استخدام الكلمات و المعاني القديمة هي ضربٌ من استخراج الجثث.(١٣٥٧: ٢٨) تعد الآركائيک من خصائص النوستاليجيا إذ تستخدم لبناء الماضي وتجسيمه و تذكرنا ذكرياته.

يولع الشاعر في شعره أسلوب التراث الجاهلي. يريد أن يصطبغ شعره بصبغة الجاهلية. يخاطب صاحبيه كما يخاطب الشاعر الجاهلي خليليه. إن شعره يتميز عن شعر الآخرين باستخدام هذه الأساليب و بث النوستاليجيا فيه. يقول:(الطويل)

خَلِيلَيَّ هَل بَعدَ المَشِيبِ تَعِلَّةٌ لذِي الجَهلِ أو فى الحبِّ شُغلٌ لِذِي حِلمِ

(المصدر نفسه، ١٧٥)

كما يقول(الطويل)

خليلَيَّ أبصَرتُ الرَّدَى وَ سَمعتُه فإن كُنتُما في مِرْيَةٍ فَسَلانِي

(المصدر نفسه، ٢٢٨)

يبدأ التطيلي قصيدته المدحية بالتغزل في بعض الأحيان كعادة الشعراء الجاهليين، كأنه استخدم نوعاً من الآركائيک. و هكذا يذكر الشاعر ما يلقي من عيني سلمى عند الوداع و ما يعانيه من ألم الصدّ و الهجر و الفراق و يصف مفاتن حبيبته حتى تملأ القصيده بزفرات الأسف والفراق حيث يقول:(الخفيف)

أسْلِمي مُقلَتيکِ قَبلَ الفراقِ في الذي جَرَّتا على العُشَّاقِ ،
قَبلَ أن يُطلِعَ الوَدَاعُ بدوراً يَقتَضيها السّرارُ قَبلَ المُحَاقِ

.....

آه ممّا لقيتُ مِن طَرفکِ الشَا ئقِ أو من فُؤادِي المشتاقِ

(المصدر نفسه، ٨٥)

---

١) الزمانة: العاهة هو لا يتحدث عن عماه إلا اضطراراً، كان يشير إليه باسم "الزمانة" أو حين يحس بالضيق الشديد من تعسف الحياة». (عباس،١٩٦٣: ن)

٢) وردت في كتاب: في الصورة الشعرية عند الأعمى ، الشناوى (تلاحينا).

شكّل حديث نفسه -كعادة الشاعر الجاهلي- قيمة فنية عالية في استدعاء الماضي بكل تشكيلاته و إشكالياته فأنتج التطيلي لوحات جديدة توافق ميزاته الذاتية العاطفية و الفكرية بلغة شاعرية من مواد وخامات الشعر العربى القديم فقال واصفاً الأطلال في إحدى قصائده المشهورة. إن الشاعر أحاط بصفات الطلل و محتوياته و أماكنه المقفرة كما احاط الشاعر الجاهلي(أي يصبغه بصبغة الجاهلي)، يصور شاعرنا ذكرياته الماضية ومرارته من الفراق مستخدما بناء الماضي لسياق شعره ليجسم طلل الحبيبة الراحلة و يبث في أشعاره جو من الحنان و الاحساس بالنوستاليجيا. قال:

أقفر من أسماء بَوْباةُ [١]إضَمْ [٢] فجانباً خبتٍ [٣] فجنبا ذي سَلَمْ
فَمُنْحنَى الأجرّاع مِن ذات العَلَمْ تلك المغاني ذَمم من الذمْ

(المصدر نفسه،١٨١)

٦-النتيجة:

فهذه المقالة كشفت عن أبعاد ظاهرة نوستاليجيا و مراحلها من خلال أشعار الأعمى التطيلي ووصلت الي نتائج تدلّنا علي معرفة جذور شخصيّته الذي عاش في شعره فانعكست مراحل حياته عبر دواوينه الشعرية.

لقد ضرب الأعمى التطيلي، أروع الأمثلة في حب الوطن و التعلق به و ظهر ذلك واضحًا جليًا من خلال الأشعار التي نظمها. تذكير الشيخوخة و مصائبها من المكوّنات الرئيسية للنوستاليجيا في ديوانه و هو متشائم من إتيان المشيب لأنه ليس للإنسان بعد المشيب رجاءٌ. يحتل الغزل و الشكوى من فراق الحبيبة دوراً عظيماً في ديوانه و هو يصوّر حالة الاستلاب و الضعف و ملاعب الصبا، و ذكر أيامه الماضية. وهناك نماذج كثيرة من الاغتراب الاجتماعي الذي تنوعت أشكاله و ألوانه لدى الأعمى التطيلي ممن كان يعيش على هامش المجتمع حياةً ذليلًة.

شعره يعبر في مجمله عن معاناة وجدانية لمحنة الغربة و التشرد، و عن مرارة فاضت بها مشاعره فيبقى الشاعر الأندلسى واقعياً ملتزما إلى نهاية مساره.عانى التطيلي من غربة نفسه بين هؤلاء الشعراء و قد أثّر العمى على شعره و أصبح بسبب هذا الوضع منطوياً على حزن عميق حتى أن راحته الكبرى لتتمثل في تأمل الموت، ويرى نفسه أداة معطلة إذا لم يستطع أن يثير بشعره أريحية الممدوحين. ففى هذا المسار إحساسه بالغربة أيضاً يرتقى من الأحساس الخارجي بالغربة، إلى الإحساس بالغربة الذاتي. تداخلت عاطفة الشاعر الأندلسي شعره الحنين في هذه الفترة، و أثبت صدق مشاعره و أحاسيسه من خلال حبه و حنينه لأهله و وطنه، كذلك تناولت التجربة الذاتية الشعرية لشعراء هذا الفترة.

---

١ البوباة المتسع من الأرض و هو اسم لثنية بنجد

٢ اسم موضع

٣ اسم لصحرا بين مكة و المدينة

۷-المصادر و المراجع:

- الأعمي التطيلي، أحمد بن عبدالله. (١٩٦٣) ديوان الأعمي التطيلي، تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة
- آل احمد، جلال.(۱۳۵۷). ارزیابی شتابزده، چاپ جدید، تهران: امیرکبیر.
- ابراهيم الخليلي، مها (٢٠٠٧) الحنين و الغربة في الشعر الأندلسي عصر سيادة غرناطة، جامعة النجاح الوطنية
- انوری، حسن.(۱۳۸۱).فرهنگ بزرگ سخن، جلد۷، چاپ اول، تهران: سخن.
- باطنی، محمدرضا و دیگران. (۱۳۷۲). واژه‌های دخیل اروپایی در فارسی، فرهنگ معاصر، چاپ چهارم،تهران.
- بهجت، مجاهد مصطفي. (١٩٨٣). التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، بغداد، سلسلة الكتب الحديثة
- پورافکاری، نصرت‌اله. (۱۳۸۲). فرهنگ جامع روانشناسی و روان پزشکی انگلیسی _فارسی، جلد دوم، تهران: انتشارات فرهنگ معاصر
- تقی‌زاده، صفدر. (۱۳۸۱). نوستالژی، مجله فرهنگ و هنر، بخارا، شماره ٢٤، صص ۲۰۱-۲۰۵
- الجادر، محمد عبدالله. (١٩٩٠). الدراسة النقدية في الأدب العربي ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، بغداد: دار الحكمة
- حاوي، إيليا. (؟). فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب اللبناني
- الحلو، سليم. (١٩٨٦). الموشحات الأندلسيه(نشأتها و تطورها)، قدم له: إحسان عباس، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة
- الخولي، محمد علي.(١٩٦٢). معجم علم اللغة النظري، ط١، بيروت
- درو، اليزابت. (١٩٦١). الشعر كيف نفهمه و نتذوقه، ترجمه محمد الشوي، بيروت: مكتبة منيمنة
- رجایی، نجمه. (۱۳۷۸). شیوه‌های اسطوری در تفسیر شعر جاهلی، مشهد: دانشگاه فردوسی
- السقطي، رسمية. (١٩٦٥). أثر كف البصر على الصورة عند أبي العلاء المعري، رسالة الماجستير، آداب القاهرة
- سلمان عيسي، عبدالطيف. (١٩٨٨). شعر الرثاء في عصر الطوائف، رسالة الماجستير،كلية الآداب جامعه بغداد
- سوکاح،زهیر. (٢٠٠٦). مفهوم الذاكرة الجمعية عند موريس هالبواكس، **مجلة التراث العربي**، العدد: ١٧٥٥
- سید حسینی، رضا. (۱۳۸۱). مکتب‌هاي ادبي، جلد اول، چاپ دوازدهم، تهران،؟
- شریفیان، مهدی (۱۳۸٦)، بررسی فرآیند نوستالژی در اشعارسهراب سپهری، مجله زبان وادبیات فارسی دانشگاه سیستان و بلو چستان، سال پنجم
- الشناوي، علي الغريب محمد. (٢٠٠٣). الصورة الشعرية عند الأعمي التطيلي، الطبعةالأولي، القاهرة، مكتبة الآداب
- طاهری نیا، علی باقر و نسرین عباسی. (۱۳۹۰) بررسی پدیده‌ی نوستالژی در اشعار دوره‌ی مرابطین برسی موردی ابن خفاجه، نشریه‌ی ادب غنائی دانشگاه سیستان .
- عالي عباس‌آباد، یوسف. (۱۳۸۷). غم غربت درشعر معاصر، نشریه‌علمی-پژوهشی، گوهرگویا، سال دوم، شماره٦
- عباس، احسان.(١٩٦٣) مقدمة ديوان الأعمى التطيلي، بيروت: دار الثقافة
- فروخ، عمر. (١٩٨٣). تاريخ الأدب العربي، ط٢، بيروت، دار العلم للملائين
- فیروزآبادی، مجد الدین. (١٤٠٦). القاموس المحيط، بيروت، ط١: مؤسسة الرسالة

- مجلي الدخيل، محمد ماجد.(٢٠٠٦). الصورة الفنية في الشعر الأندلسي شعر الأعمى التطيلي (ت٥٢٥ه) نموذجاً، عمان: دارالكندي للنشر و التوزيع.
- نورالدين، حسن محمد.(١٩٩٠). ابن¬خفاجه شاعرشرق الاندلس، لبنان، بيروت، دارالكتب العلميه .
- الوداعى، عيسى.(١٤٢٨). حالة الادب و سلطة الفقهاء في عصر المرابطين ،صحيفه الوسط البحرينية، العدد ١٩٣١، الخميس
- الهرامة، عبدالحميد. (١٣٩٢ه). الأعمى التطيلي، حياته وأدبه،ط، ١ طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان